الشخصية العراقية في كتابات الاجتماعيين الوردي – الطاهر نموذجاً

الباحث. بختيار ابراهيم فتاح

كلية التربية الاساسية / جامعة السليمانية

The Iraqi Personality in the Writings of Sociologists: Al Wardi as an example

Bakhtiar Ibrahim Fattah

Sulaimani University\ College of Basic Education

bakhtiar.ibrahim74@yahoo.com

Abstract

'Personality' is one of the most challenging concepts that modern cognitive sciences handle and due to the multitude of the latent essential aspects of this topic, we have selected two Iraqi scholars, Dr. Alwardi and Dr. Abduljalil Altahir, who have had significant contributions and valuable writings on the topic of analyzing and identifying the Iraqi personality.

Generally, the study is divided into two main sections. The first presents Alwardi's life, works, and views via his three sociological hypotheses including the conflict between the urban and the nomad, duality of the personality and social discord.

As for the second section, it displays some views pertinent to some social concepts such as social cults, phenomenology and ……. We have also presented some concepts like anxiety, extrovert conflict, causes of anxiety, contradiction, multiple loyalty, differences of affiliation. The study ends with the conclusions, list of references and recommendations.

Key words: Personality, Iraqi personality, duality of personality, conflict between the urban and the nomad, social discord, society cult.

الملخص:

(اسباب التحرش الجنسي في منظور الطالبات كلية التربية الاساس في جامعة السليمانية

تعود مشكلة التحرش الجنسي الى قديم الزمان ويتعرض بوجه عام كافة المجتمعات في العالم بشكل مسكون واوجه مختلفة خاصة في المجتمعات الشرقية المغلقة الحساسة وهذه ظاهرة خطيرة تنتشر بسرعة مذهلة تحت مسميات وذرائع مختلفة مثل المساوات والمدنية والازدهار.

ان الدراسة الحالية تحاول وتدرس ظاهرة التحرش الجنسي من وجهة نظر سوسيولوجية مبنيا على ان التحرش الجنسي فعل وسلوك اجتماعي يقع في سياق التفاعلات اليومية للأفراد.

هذه المحاولة تأتي في اطار نظري ملائم لدراسة التحرش الجنسي بين الطلاب والطالبات بأشكاله المختلفة ومحاولة التعرف على الاهداف التي يرمي اليها الفاعل لارتكاب هذه الجريمة.

بما ان الطالبات هن يشكلن فئة مستضعفة من قبل الاساتذة والموظفين والطلاب والرجال خارج حرم الجامعة ويتعرض في كثير من الاحيان الى العنف والتحرش بأنواعه المختلفة وتعد هذه المشاكل الى التأثير على المستوى الثقافي والدراسي للطالبات.

ان بعض القيم الاجتماعية قديمة ومغروسة في عقلية الانسان ومعظم الاجيل من الاوقات ينظر الرجل بنظرة دونية للمرأة بانها مخلوق ضعيف ويستحق المهانة والرذيلة. لذا اخفاء ضحايا التحرش امر سهل في الغالب , ولا يمكن ان ي تبوح بسرها, لان الحصول على دليل ملموس امر صعب جدا وعلى الاكثر الضحية تخسر القضية.

فتجريم التحرش الجنسي يهدف الى حماية العرض وكرامة المرأة والحرية الجنسية بما ان الجنس حق لكل فرد في المجتمع وعلى الحكام ان يلتزموا بمبادئ حقوق الانسان بكل اجناسه.

نستخلص موضوع التحرش بانها (اقوال وافعال وكل الايماءات والسلوكيات الغير مرغوب فيها مثل المضايقان اللفظية ولسلوكيات الاجرامية والاعتداءات والجنسية ويكون بعدم ارادة الانسان او بارادته نفسه تحت الضغوط فيما حوله).

اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي, وتهدف الدراسة الى التعرف على ظاهرة التحرش الجنسي في المجتمع الكوردي عامة والجامعات خصوصا ,و الاسباب المؤدية لظاهرة التحرش الجنسي بأشكاله المختلفة.اخترنا عينة عشوائية طبقية من الطالبات الكلية نسبة 250 طالبة في كل الاقسام الكلية.

ونعرض جميع المعلومات المطلوبة, قمنا بتوزيع اسئلة الاستبيان على الطالبات التي تحتوي على 35 فقرة متنوعة متعلقة بالتحرش الجنسي.

وفي نهاية الدراسة وفي ضوء طبيعة الواقع الاجتماعي للمجتمع الكوردستاني عرضنا هذه النتائج حسب الجداول الموجودة في البحث وفي الختام قدم الباحث جملة من التوصيات والمقترحات لحل او لتقليص قوة وهيمنة هذه الظاهرة الخطيرة.

الكلمات المفتاحية: الشخصية، الشخصية العراقية، ثنائية الشخصية، الصراع بين الحضري والبدو، الخلاف الاجتماعي، عبادة المجتمع.

المقدمة:

تتميز الشخصية العراقية في القدم بنوع من الثبات والاستقرار والطمأنينة، نتيجة الانتقال والترحال بين البدو والريف، خلق نوعاً جديداً من الشخصية التي تتميز بها عن سائر شخصيات البلدان الأخرى، عندئذ خرجت هذه الشخصية من التقوقع والانطوائية من الفكرة البالية الى فضاء الانفتاح والتمدن بشكل ظاهري وليس جوهري في أعماقه.

يحتل موضوع الشخصية مكانة متميزة وحيوية في دراسات علم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة، وتتعدد التعاريف والآراء المختلفة والمتباينة لكل مجالات العلم حسب تكوينها وجوهرها، بما في موضوع الشخصية من خطورة وأهمية وحساسية متميزة ومرتبطة بحاضر الأمة وماضيها ومستقبلها، وعلى الباحث الحذق أن يكون لديه الفضول الأكبر في التفكير والتمعن والتمحيص في جميع الجوانب المتعلقة والمكنونة لدراسة الشخصية الإنسانية.

ومن الجدير بالذكر أن عدداً غير قليل من الكتاب والأدباء والمؤرخين والمستشرقين قد حاولوا دراسة الشخصية العراقية والمجتمع العراقي، وهم دون شك أضافوا الى المعرفة أشياءاً كثيرةً ومثيرةً حول الموضوع وقدموا كماً كبيراً متبايناً ومتناقضاً أحياناً عن هذه الشخصية[1].

ومن خلال هذه الأسطر الموجزة، نستنتج أن العراق أرضاً وشعباً ومدناً ومجتمعاً قد تعرض للتدمير والهلاك والإيذاء والتصدع على مر العقود والقرون، ومع أن اختلاف القوميات والإثنيات والطوائف والمذاهب لشعب العراق ومع كل القوى والمؤثرات والعوامل التي تحكمت في المجتمع العراقي والتي لم يتعرض الى ما يشابهها شعبٌ آخرٌ أو بلدٌ آخر، فقد تكونت للعراقي شخصية متميزة بسمات وصفات خاصة، وإن تشابهت في بعضها مع شخصيات عربية وإسلامية بل وعالمية أخرى[2].

إن الشخصية العراقية في العقود الخمسة الأخيرة، لم يطرأ عليها تغييراً كثيراً، بل على العكس ازدادت تعنتاً وكبتاً وقمعاً وإذلالاً وتمرداً وهذه الحالات قد فرضت عليه من قبل الحكومات المتعاقبة التي تفرض عليها القتال والحصار والجور والجوع والفقر[3].

مشكلة البحث: Research problem

إن تطور وتغير الحياة وما رافقها من مشاكل وصعوبات تواجه الفرد بشكل مباشر يتأثر بأفعاله وسلوكياته التي تنعكس على المجتمع بشكل أو بآخر.

ويتبين لنا في خلال حقبتين من الزمن من حوادث العنف والشعور بخيبة الأمل والعجز التام في الحكم وتحقير الذات والآخرين يؤدي الى ظهور من ثقافة العنف.

1 د. الحارث عبدالحميد حسن الأسدي، الشخصية العراقية، ص6 http:// almarefah.com/ article, php?id =226
2 نفس المصدر، ص 10.
3 نفس المصدر، ص 14.

يعتبر موضوع الشخصية من المواضيع الهامة التي يعاني منها الشعب العراقي، وقد انتشرت بين أوساطهم بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة، مما يدل على وجود خلل كامن في أمورهم الحياتية، سواء كانت السياسية منها أو الاقتصادية أو العرقية او المذهبية، وهذا ما دفع الباحث للقيام بهذا البحث، للتعرف على ابرز مظاهر وتكوين الشخصية العراقية بكافة مكوناتها، حيث تتجلى مشكلة هذا البحث بالأسئلة التالية:

- هل الشخصية العراقية شخصية سوية إذا ما قارناها بالشخصيات في البلدان الأخرى؟
- لماذا يقول الشخص العراقي شيئاً ويفعل شيئاً آخراً؟
- لماذا يسلك العراقي سلوك البدوي الغالب تارة وسلوك الحضري المغلوب تارة أخرى؟

نجد أن طبيعة الواقع التاريخي الاجتماعي من أبرز وأهم العوامل التي تساهم في تكوين وتوجيه العلاقات الاجتماعية لأفراد المجتمع، فمن أبرز وأهم العوامل التي تساهم في تكوين وتوجيه العلاقات الاجتماعية لأفراد المجتمع، فاذا كان المجتمع يعاني من ما شكل عديدة ضمن بنيته الأساسية، فلابد أن ينعكس ذلك سلبياً في كل فرد من المجتمع.

يرى الوردي بأن المجتمع العراقي ما يزال متعدد الإثنيات والأديان والطوائف وتأريخه متشابك مع دول الجوار المختلفة في ثقافاتها، وأن الاتصال بين الريف والمدينة هو اتصال قبلي وريفي وطائفي وهذا يؤدي بدوره الى خلل وتناشزا اجتماعياً[1].

لقد صدق الوردي، فإن ما قاله قبل نصف قرن تقريباً ينطبق اليوم بشكل أو بآخر على ما يمر به العراق اليوم، وهو يقف في مفترق الطريق، وليس أمامه سوى ممارسة الديمقراطية.

اهداف البحث: Goals

يسعى البحث الحالي لتحقيق الأهداف الآتية:

1- التعرف على دور الفرد في المجتمع ومدى امكانيته على الانسجام مع الآخرين.

2- محاولة الكشف عن خفايا الشخصية العراقية تاريخيا، خصوصاً بعد سقوط النظام وظهر حركات سياسية واسلامية وطائفية ومذهبية.

3- التحقق مما يقوله العلماء والكتّاب والدراسين حول الشخصية العراقية المزدوجة والقلق والقوقعية.

4- يتجلى هذا البحث في مساعدة الأفراد للتعرف على الشخصية، وماهي الأسباب الكامنة لتكوين الشخصية، وكيف يتعامل مع بني جلدته ومع الآخرين، من خلال معرفة العوامل المرتبطة بمفهوم الشخصية السوية.

5- إصلاح سلوك الفرد العراقي في قضية الالتزام بمبادئ الانتماء الوطني.

اهمية البحث: Importance

تكتسب هذه الدراسة أهميتها الخاصة من خلال تبيان مدى التزام أفراد الشعب العراقي بالازدواجية والتقوقع على نفسه من خلال مسيرة تأريخيه.

1- موضوع الشخصية أصبحت موضع اهتمام العديد من الدراسات والبحوث العلمية.

2- إن أهمية البحث تبرز من خلال ما يسهم العالمان (الوردي والطاهر) من دراسات وابحاث وكل ما يتعلق بالشخصية.

إن من أصعب الأمور على الباحث المحايد أن يدلي برأيه في موضوع حساس ومثير وخطير كهذا وخاصة اذا كان الباحث عراقياً كوردياً، ونحن كعراقيين نسمع مراراً وتكراراً بأن (الشعب العراقي شعب شقاق ونفاق) وتبقى هذه المقولة في ذاكرة ومخيلة الفرد العراقي، ويبقى هذا السؤال المبهم دون جوابٍ كافٍ وشافٍ، ولحل هذه العقدة المتشابكة نسأل (هل الفرد العراقي مزدوج في شخصيته، ومتقوقع في أفكاره وأفعاله).

1 د. ابراهيم الحيدري، علي الوردي وجدلية الثقافة والديمقراطية- مقالة منشورة في الإنترت، 2006/7/31.

صحيح أن المجتمع العراقي يعاني من الازدواجية والتقوقع على نفسه وشخصيته، ولكن كل هذا بأسباب عديدة تأريخيه وبيئية وجغرافية.

نحن نعلم بأن العراق مختلف اختلافا تاماً عن باقي الشعوب العربية والإسلامية الأخرى من كل النواحي الجغرافية والسكانية والثقافية والدينية.

تتميز الشخصية العراقية بالرغم من ثباتها منذ القدم بكونها من الشخصيات المثيرة للجدل، فهي الى جانب حبها للتمدن والاستقرار لكنها لجأت الى الهجرة والعودة الى الريف، اضافة الى شجاعتها وصرامتها فإنها لجأت الى (التقية) والمهادنة الى جانب ثرائها وغناها ومما منحها الله والطبيعة من خيرات فقد كانت تعاني من مرارة الفقر والحاجة والى جانب كرمها وعطاءها فقد عاشت العوز والحرمان والى جانب كونها من أوائل من أوجد القيم والمبادئ والعدالة لكنه الظلم والدماء قد انتشرا في مسامات الهواء التي تغطيها جوها وعلى مساحات زمنية كبيرة الى جانب الكثير من المفارقات والمتناقضات[1].

لو عدنا الى التأريخ فهناك مثال معروف عن دور الاجتياحات الثقافية والنقلات الحضارية في خلف الازدواجية والانفصام: الفتح (الغزو) العربي الإسلامي الذي جعل الكثير من الشعوب المفتوحة تعيش حالة من الاضطراب والازدواجية بين ثقافتها الوطنية التقليدية الموروثة وبين الثقافة الإسلامية العربية الجديدة، ومثال على ذلك لا الحصر، صحيح أن المجتمع العراقي بعد الغزو الذي استبدل دينه المسيحي ولغته الآرامية بالدين الإسلامي واللغة العربية.

حسب اعتقاد كثير من النقاد والكتّاب بأن المجتمع العراقي بين أكثر المجتمعات في كثرة وحدة الازدواجية هذه لسببين، أولهما: ناتج عن تأريخه الحضاري الغني جداً والمتوتر جداً بسبب موقعه الجغرافي الاستقطابي وبيته الحادة في كرمها وغدرها، والسبب الثاني: فهو ناتج عن التطرف الشديد بالانتقال من مرحلة عثمانية ظلامية بكل معنى الكلمة من كل النواحي الحضارية والمادية، الى مرحلة انفتاح سريع وساذج وسطحي على العادات والثقافات والمعتقدات الغربية وخصوصاً من قبل النُخب المتعلمة والمثقفة[2].

فالتأريخ هو التأريخ، تأريخ العنف والدم والمعارك والأهوال والكوارث، والمجتمع العراقي يكاد يكون الوحيد بين مجتمعات العالم الذي خبر العنف لزمن يمتد لآلاف السنين وما يزال لاسيما في السنوات الخمس وعشرين الأخيرة التي شاعت فيها ثقافة العنف.

إن السايكولوجية العراقية والإسلامية (بعد أن صارت بغداد مركزاً للدولة) أشاعت العنف وجعلته الوسيلة الوحيدة لحل النزاعات لإجبار الخصوم على الطاعة والخضوع، حيث كانت لا تلجأ الى التفاوض والحوار الا بعد أن تقطف السيوف رؤوس افضل ما في القوم، وهذه خاصية سايكولوجية في العنف، بأنها تغلق كل نوافذ التفكير، وتحشد كل قوى الحقد والعدوان باتجاه الانتقام[3].

نستنتج من هذا أن تشوهاً قد حصل في تركيبة سكان العراق يمنعنا من الجزم بأن العراقيين المعاصرين هم الورثة المتسلسلون لتلك الموجات الحضارية التي عرفتها البلاد، وأن نلاحظ بالتالي أن المجتمع العراقي قد تعرض لعوامل انحطاط مزدوجة تتمثل من جهة في سقوط الحضارة الإسلامية وما أعقبها من تحلل اجتماعي، ومن جهة أخرى في كثافة العنصر المهاجر غير المتحضر[4].

شخصية الوردي

نحن كجيل جديد نحتاج الى تمعن وقرارات جديدة تتلاءم مع واقع حياتنا المعاصرة وتستجيب لتطورات وتغيرات المجتمع خصوصاً في السنوات الأخيرة.

فالوردي قد عاش في زمن ملئ بالحروب الدموية والويلات والانقلابات السياسية والفكرية والاجتماعية، وعاصر أنظمة سياسية واجتماعية مختلفة، وبهذه الحالة فإنه لم يستطع أن يغير اطروحات وأفكار ومبادئ النقدية المستقلة، أو أن يتمسك بقوة إرادته وعزمه

1 علي الوردي، عالم الاجتماع الذي شخص كوامن الشخصية العراقية، الحوار المتمدن – العدد 42 – 2002/9/10 .
2 سليم مطر، النزعة الإستشراقية العنصرية في فكر الحداثة، جنيف، 1999 http://www.salimmatar.com\page08.html
3 د. قاسم حسين صالح، سايكولوجية عراقية، ط1، مطبعة جامعة صلاح الدين، 2006، أربيل – ص 36.
4 هادي العلوي، مظاهر التشوه في المجتمع العراقي، مجلة دراسات كردية عن المعهد الكردي، باريس، عدد 3-7، 1992، ص 76.

الثابت لكي يصمد امام النقاد والمعترضين والحملات المضادة عليه، ثم تبين لهم بعد كل هذه الفترة الزمنية أن كل ما قاله الوردي في نظرياته وآراءه ينطبق على واقع المجتمع الحالي.

إن التزام الوردي بطروحاته وافكاره الموضوعية والتحليلية للإحداث والتزامه بأسلوبه الواقعي السلس في إدراكه للظواهر الاجتماعية السلبية وتفشيها داخل التركيبة السكانية.

نحن نعلم بأنه ليس باستطاعة أحد من الكتاب أو المفكر أن يتجرأ أن يثير المسائل الحساسة والخطيرة كما فعل الوردي.

يعتبر الوردي معلماً ومفكراً في معالم الفكر الاجتماعي التنويري في العراق وخارجه، وخلّف وراءه ثروة فكرية موسوعية تتناسب مع واقع المجتمع العراقي، وكان حصيلتها ستة عشر مجلداً ومئات البحوث والدراسات العلمية القيّمة في كل المجالات الاجتماعية.

كان الوردي من أوائل علماء الاجتماع الذي درس المجتمع العراقي وشخصية الفرد فيه، وأول من غاص في أعماق جذورها المخفية لتكوين وإبراز الأسرار الكامنة وراء الشخصية الإنسانية، واشار الى الخطر الناجم من اختلاف الرؤية بين الوطنية والقومية بسبب العاطفة، والمطلوب الموازنة بين الموضوعية والعاطفية، أي إصدار الحكم بين الوطني والقومي على اساس الاختلاف والتنوع.

وقع في تأريخ العراق سلسلة من الحروب الدموية والكوارث التي مرت في العراق عبر القرون، وآخرها سقوط النظام المقبور الدكتاتوري الذي ترك المجتمع العراقي مفككاً بشعب مقسم وممزق من داخله وخارجه في كل النواحي الحياتية.

كان الوردي ينقل لنا باستمرار الأحداث ويحللها وينقدها بشكل علمي وبأمانة موضوعية، لذا يبقى الوردي حاضراً وحيّاً بآرائه السديدة وفكره المستنير في وجدان قراءه ومريديه.

لقد غاص الوردي في أعماق المجتمع العراقي ودرس الظواهر العامة والخاصة، المتناقضة منها والمنسجمة، ورصد الأمراض الاجتماعية وليس الرفاهية والعادات الاجتماعية[1].

كان يرد على خصومه بروحية الخصم العقلي أو بروحية المجتهد الباحث والمكتشف للحقيقة من ركامها، ولم يغضب أو يتهيج او يتبرم من نقد غاضب أو يتكبر، وانما ناقش حتى صاحب الهوية المجهولة أو الاسم المستعار وحتى تلاميذه الذين تتلمذوا له في الجامعة[2].

فالوردي ظاهرة شغلت الأوساط الثقافية العراقية منذ العام 1950، وهو الذي استطاع بفعل آراءه الجديدة والجريئة من تحريك المناخ الفكري في العراق والمنطقة، والتي أثارت وما زالت تثير الجدل الكبير في الأوساط الثقافية العراقية والعربية، حيث كانت آراءه مادة دسمة يمكن تناولها بالنقد والتحليل وبالتبني، أو بالتجني في أحيان أخرى.

إن التقييم منهج الوردي أو نتاجه العلمي ليس بالأمر اليسير وقد لا يفي الوردي حقه، ويرجع مردّ هذا بالدرجة الأولى الى المواضيع التي تعاطى معها[3].

إن أسلوب وبحث الوردي في الكتابة يتميز بخصوصية منفردة، وهي سهولة الفهم والدقة العلمية والسخرية اللاذعة من الأسياد التي كانت ينعتهم بـ (الجلاوزة)، الذين لا يزال أقرانهم وأشباحهم يتمثل ويتواجد في أوساط الناس الى يومنا هذا.

غطى العلامة الوردي حقبة (نصف قرن) اصطبغت بلون معاركه الفكرية ومجادلاته وصخبه العلمي المحبب واحتفظ لنفسه حتى وهو في عالم (الغيب) بموقع أثير بين القراء والباحثين لما (ظن به علينا) في حياته مما جعل قراءه ينتظرون الجديد والمسكوت عنه من الوردي[4].

1 د. معين خليل عمر، رواد علم الاجتماع في العراق، ط1، وزارة الثقافة الإعلام، بغداد، 1990، ص16.
2 حميد المطبعي، مفكر عرف السؤال بالقوة والاستفسار بالضعف، جريدة الزمان، عدد 1671، 2003/11/22.
3 حميد الهاشمي، عالم الاجتماع، تناول مواضيع الازدواجية في الشخصية العربية، جريدة الزمان، عدد 1566، في 2003/7/26.
4 د. علي حسين الجابري، علي الوردي سيرته، فلسفته، مصادره، دار نينوى، دمشق، 2009، ص179.

ما هي الشخصية؟

نسمع مراراً وتكراراً ويومياً كلمة الشخصية، وهي التي لها دلالات جوهرية واسعة وكامنة في حياتنا اليومية، بينما ينحصر استعمالها بحسب أهواء الأفراد والمجتمعات والأماكن المختلفة.

فمثلاً نقول بأن فلاناً من الناس له شخصية مؤثرة، أو فلاناً ليس لديه شخصية، وهذه الكلمات لها معان ومدلولات مختلفة ومتباينة حسب نوعية المعرفة المتفشية.

لقد ظهرت حركات عديدة تهدف الى تحليل الشخصية البشرية وتلخيصها في سيطرة النظم الاجتماعية القديمة وجعلها الأساس للنظم الاجتماعية الحديثة وخصوصاً بعد نهاية القرن السابع عشر وذلك بعد ظهور الثورات التي كانت تؤكد على قيمة الشخصية للفرد وضرورة احترامها إذ أنها الحجر الأساس لأي نظام اجتماعي.

موضوع الشخصية من أصعب الموضوعات التي أهملتها بعض العلوم بعكس اهتمام العلوم الاجتماعية التي لها مكانة بارزة في ما يتعلق بموضوع ومفهوم الشخصية.

ومن الصعب أن نعرف الشخصية البشرية لأنها كيان معقد وديناميكي ومع هذا يمكن تعريفها تعريفاً شاملاً يأخذ بعين الاعتبار جميع مكوناتها وتراكيبها الأساسية.

فمن الناحية الطبيعية أو الفيزيولوجية يمكن التأكيد على التركيب الطبيعي الذي يشير الى أنها عبارة عن تنظيمات للحجيرات والأنسجة المتضمنة لأنواع موروثة في الاستعدادات والانفعالات (المزاج).

أما من الناحية النفسية فيشار على أنها نظام من نماذج ردود الفعل المتكونة عند الفرد نتيجة وجود أشياء أو أشخاص أو حالات مؤثرة عليه.

أما من الناحية الاجتماعية فإننا نشير الى الشخصية على أنها مجموعة العادات والصفات والاتجاهات والأدوار التي يلعبها الفرد في الأحوال الاجتماعية، إضافة الى أنها مجموعة من الخبرات والتجارب التي يمر بها الأفراد أثناء الحياة الماضية والحاضرة[1].

والواقع انه لا يوجد شخص بدون شخصية، فكل إنسان له شخصية مميزة، وهذه الشخصية المميزة تحمل قسمات وملامح خاصة تميزها عن غيرها، وكل فرد يشبه الآخرين في بعض النواحي، ويختلف عنهم في بعضها الآخر، ولكنه في النهاية ينفرد بتركيبة خاصة تجمع مختلف العناصر في كل واحد متكامل[2].

إن المفهوم للشخصية هو وحدة معقدة في طبيعتها لا يمكن تحليلها، وهذا ما يرفضه العلماء لأنه يجعل من الشخصية شيئاً غامضاً في عالم الغيب ويرون أن مثل هذا المفهوم لا يعود علينا بأي فائدة عملية[3].

فإن الشخصية من أكثر الظواهر النفسية والاجتماعية تعقيداً وتشابكاً، لأن الشخصية هي عنصر ثابت في سلوك الشخص، لما يميزه ويفرقه عن الأشخاص الآخرين، وكل إنسان مشترك في الصفات العامة للإنسانية ومختلف ومتميز عن أقرانه في التجارب الحياتية، وهكذا فإن تنوع واختلاف وتعدد تعاريف ومفاهيم الشخصية يرجع الى تنوع وتعدد نظرياتها وفرضياتها.

يرجع اختلاف وتعدد تعاريف ومفاهيم الشخصية الى عدة عوامل، منها:

تنوع وتعدد نظريات الشخصية، ولذلك لحداثة علم الشخصية، ومن تلك العوامل تعقيد مفهوم الشخصية، فالشخصية تشمل جميع الصفات الجسمانية والعقلية والخلقية، في حالة تفاعل بعضها مع بعض من ناحية، وتفاعلها مع البيئة الطبيعية والاجتماعية من

1 د. إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع، دراسة نظامية في تأريخ نظريات مناهج ومجال علم الاجتماع الصرف، مطبعة جامعة بغداد، 1976-1975، ص320–321.

2 د. محمد فرغلي فراج، د. عبدالستار ابراهيم، د. سلوى عبدالرحمن الملا، السلوك الإنساني – نظرة علمية، دار الكتب الجامعية، ص 95.

3 د. عبدالرحمن محمد عيسوي، دراسات في علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1974، ص 238.

ناحية ثانية، وتفاعلها مع المواقف اللانهائية العدد التي يختبرها الفرد منذ ولادته حتى مماته من ناحية ثالثة، ويختلف العلماء في تأثير أحد تلك العوامل على حساب العوامل الأخرى[1].

تعريف المفاهيم

الشخصية: personality

يعد مفهوم الشخصية من أكثر المفاهيم تعقيدا ولم يتفق عليها العلماء والباحثون بعد، فقد وضعت عدة تعريفات للشخصية تختلف فيما بينها تبعاً لاختلاف الرؤى النظرية التي ىؤمن بها واضعوا هذه المفاهيم، ولكن على الرغم من كل الاختلافات في تعريفاتهم يمكن أن يتفقوا على عدد من الأبعاد أو العوامل لهذه الشخصية[2].

ان الشخصية هي المجموع الكلي لسمات الفرد والتي تميزه عن غيره. (ركز بعض أصحاب هذه التعاريف على السمات العامة، في حين ركز آخرون على السمات الخاصة)[3].

الشخصية: بأنها محاولة من الأنسان للتوازن ببن رغباته الطبيعية العامة، وقواعد المجتمع التي يتبناه ضميره[4].

تعريف عالمي الاجتماع (أو جبرون ونيمكوف):

تعني الشخصية التكامل النفسي والاجتماعي للسلوك عند الأنسان، وتعبر عادات الفعل والشعور والاتجاهات والآراء عن التكامل[5].

الشخصية: بأنها التنظيم الاستعدادات لشخص في المواقف المختلفة[6].

تعريف: (جريفث)

مجموع الصفات التي يتصف بها الفرد، والناتجة عن عملية التوافق مع البيئة الاجتماعية وهي تظهر على شكل أساليب سلوكية معينة للتفاعل مع العوامل المكونة لتلك البيئة[7].

ازدواجية الشخصية:

أن يسلك الأنسان سلوكا متناقضا دون أن يشعر بهذا التناقض أو دون أن يترف به، وهو ينشأ عن وقوع الانسان تحت تأثير نظامين متناقضين في القيم أو المفاهيم، فهوة بتأثر بأحد النظامين تارة، وبالآخر تارة أخرى[8].

الازدواجية الشخصية:

شرح د. حسن حنفي تلك الخاصية وحدد مظاهرها في أربعة جوانب:

المظهر الأول: الازدواجية بين الإنشاء والأخبار.

يقصد بالازدواجية بين الأنتشار والأخبار، أننا كثيراً ما نفكر ويكون تفكيرنا تعبير عن ثمن لا أخباراً بواقع، ولذلك فقد الخبر قيمته لأنه يعبر عن الواقع، حتى فقد تأثيره وأهميته.

المظهر الثاني: الازدواجية في الفصل بين القول والاعتقاد.

فنحن نقول ما لا نعتقد، ونعتقد ما لا نقول حتى لقد أصبحت النصيحة الشائعة هي أن نردد ما يعتقده الآخرون.

المظهر الثالث: فكثير ما نصرح بشيء ولا نعمله، ونعمل شيئا لا نصرح به، حتى لقد أصبح القول ميدانا خاصا تتحقق فيه المنجزات.

المظهر الرابع: وهو الازدواجية بين الداخل والخارج، المظاهر الثلاثة السابقة[1].

---

1 د. عاطف وصفي، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1981، ص 102.
2 صابر بكر مصطفى بوكاني، سمات الشخصية للأستاذ الجامعي، رسالة ماجستير جامعة بغداد، ٢٠٠١، ص ١٢.
3 د. أنتصار يونس، السلوك الأنساني، دار المعارف، ص ٢٩٧ .
4 الوردي، شخصية الفرد العراقي، ١٩٥١، ص ٥٧ .
5 عاطف وصفي، مصدر السابق، ص ١٠٣ .
6 د. عبدالرحمن محمد عيسوي، دراسات فى علم النفس الاجتماعي، دار النهظة العربية، بيروت، ١٩٧٤، ص ٢٣٨ .
7 د. حسين عبدالحميد أحمد رشوان، الشخصية دراسة في علم الاجتماع النفسي، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٤٦ .
8 نخبة من الباحثين، علي الوردي قراءة نقدية في آرائه المنهجية، ص ٣٢ .

التناشز الاجتماعي: Cultural lag

أقتبس الوردي هذا المصطلح من العالم أمريكي وليم أوكبرن (١٨٨٦ – ١٩٥٩) الذي كتب عن الهوة أو الفجوة الحضارية (Culture lag) وسماها الوردي (التناشز الاجتماعي).

أستعمل الوردي (التناشز التراثي) و(التراثية) بدلا في (التناشز الاجتماعي)[2].

ووجدت أن تعبير (التناشز الاجتماعي) أكثر ملائمة له.

والقصد بالتراثية ما يسمى في الأصطلاح العلمي Culture، ومعناه مجموعة المعتقدات والقيم والتقاليد والعادات والمألوفات التي يتميز بها مجتمع عن آخر والتي ينشأ عليها الأنسان منذ طفولته [3].

أشار الوردي الى أن الحضارة الحديثة جاءت إلينا بأفكار ومفاهيم تناقض العادات الاجتماعية التي نشأنا علينا في بيئاتنا المحلية[4].

التناشز التراثي: المتمثل بعدم تساوق التغير من الأجزاء المترابطة في المجتمع مما يؤدي إلى حدوث فجوة بينها[5].

التراث: أنه أنتاج فترة زمنية تقع في الماضي وتفصلها عن الحاضر مسافة زمنية ما تشكلت خلالها هوة حضارية فصلتنا ومازالت تفصلنا عن الحضارة المعاصرة[6].

الفرضيات الاجتماعية الثلاث عند الوردي:رعندما صدرت أول الدراسات الاجتماعية في عام 1951 م، حاول الوردي تحليل المجتمع، لأن كل تلك الفرضيات الثلاث مترابطة فيما بينها ترابطاً وثيقاً، أي أن كل واحدة منها تكمل الآخرى، والفرضيات الثلاث هن:

1- صراع البداوة والحضارة:

إن الوطن العربي يشمل أعظم منطقة صحراوية في العالم، وهو يشمل الى جانب ذلك بقاع خصيبة وفيرة المياه، فالصحراء تنتج البداوة، بينما البقاع الخصيبة تنتج الحضارة، وقد كانت في الواقع مهداً لأعرق الحضارات البشرية، ولهذا كان الوطن العربي ميداناً للصراع بين البداوة والحضارة منذ بداية التأريخ[7].

وهذه الفرضية تدور حول الصراع بين قيم البداوة وقيم الحضارة، وذلك لأن العراق هو أكثر من أي بلد آخر يتلقى منذ أمد بعيد موجة بدوية بعد الأخرى، والتي ما زالت تؤثر في تركيبة المجتمع العراقي وسلوك أفراده كثيراً أو قليلاً، والذي يظهر في إنتشار قيم التغالب البدوية مثل (المروءة، الغزو، الكرم) التي أفرزت صراعاً حاداً بين (بدوي غالب وحضري مغلوب) وما تبع ذلك من عصبيات قبلية وعدم استقرار[8].

2- التناشز الاجتماعي:

إن التناشز الاجتماعي ظاهرة عامة تظهر في كل مجتمع يمر بمرحلة التغير، فأن بعض الجوانب في المجتمع تتغير بسرعة بينما تتغير الجوانب الأخرى ببطء، وهذا الفرق في سرعة التغيير يؤدي الى ظهور مشاكل اجتماعية مختلفة تعاني منها كل فئات المجتمع على درجة متفاوتة[9].

فالمجتمع يتغير باستمرار دائم، وهذا التغير في الأعراف ومظاهر التغير لا يحصل في كل المكونات ذاتها بشكل متساوي، وفي مختلف شرائحه، فمنها ما يتغير بسرعة فائقة ومنها ما يتغير بشكل بطئ.

---

1 د. حسن حنفى، التفكير الديني وأزدواجية الشخصية، مجلة الفكر المعاصر، أبريل ١٩٦٩، في ص ٥٨ إلى ص ٦٣ .
2 د. الوردي، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث، ج١، مطبعة الأرشاد، بغداد، ١٩٦٩، ص ٢٨٨ .
3 جريدة الأتحاد، علي الوردي، حول العقل البشري، العدد ١١٤، في آذار ١٩٨٩ .
4 د. الوردي، مصدر السابق، ص ٢٩٩ .
5 موفق ويسي محمود، سمات الشخصية العراقية في كتابات الاجتماعيين العراقين، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص ١٠٠ .
6 د. معن خليل عمر، ثنائيات علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، ٢٠٠١، ص ١٧٤ .
7 د.علي الوردي، المصدر السابق، ص 297 – 298.
8 ابراهيم الحيدري، علي الوردي – شاهد على العصر، جريدة الزمان، العدد 1559، 17 تموز 2003.
9 سعيد البزاز، د.علي الوردي في الطبيعة البشرية، ط2، عمان، 2012، ص 49.

إن تغيرات هائلة طرأت في العصر الحديث وقد انعكست آثارها على الحياة الاجتماعية. فاصبح التواصل بين العالم والحضارات المختلفة أمراً وشائعاً وميسراً، بعد أن كان صعباً وربما متعذراً[1].

تدور هذه الفرضية حول التغير والتناشز الاجتماعي بين مقومات الحضارة العربية – الإسلامية وبين الحضارة الغربية التي دخلت العراق منذ بداية القرن الماضي والتي أحدثت تغيرات بنيوية سببت تناشزاً اجتماعيا ونفسياً عند فئات واسعة وذلك بسبب التناقض والتعارض بين القيم المختلفة، كما أحدثت صراعاً فكرياً واجتماعيا وسياسياً وخاصة بين مؤيدي المدنية الغربية الوافدة (المجددين) وبين الواقفين ضدها (المحافظين)، وقد ولد هذا التناشز الحضاري[2].

في الواقع، أن المجتمع العراقي في مرحلته الراهنة قد عاني من تناشزات عديدة، وقد أحصيتها ذات مرة ووجدت أنها تزيد على أربعة عشر تناشزاً[3]، ولو عاش الوردي فترة أطول لأحصى تناشازات تتجاوز الآلاف.

3- ازدواجية الشخصية: Double personality

ينطلق الوردي من نقطة أن عملية الصراع بين قيم حضارتين متناقضتين وهما البداوة والحضارة، بحيث تختلط هذه القيم وتتزاوج في داخل الشخصية العربية فتولد صراعاً داخلياً لدى الفرد العربي، ويورد الوردي أمثلة على هذا الذي يصطلح عليه بالازدواجية الشخصية[4].

هذه الفرضية الجوهرية التي اعتمدت عليها لدراسة موضوع الشخصية العراقية بشكل أساسي لذا أهتم بها أكثر من الفرضيات الأخرى، أن ازدواج الشخصية هو أن يسلك الإنسان سلوكاً متناقضاً دون أن يشعر بهذا التناقض في سلوكه أو أن يعترف به، وهو ينشأ عن وقوع الإنسان تحت تأثير نظامين متناقضين، في القيم أو المفاهيم، وهو يتأثر بأحد النظامين تارة، ويتأثر بالآخر تارة أخرى[5].

ليس المراد بالازدواجية هنا مفهومها النفسي، بل المفهوم الاجتماعي، لأن ازدواج الشخصية له مفهومان مختلفان، أحدهما اجتماعي والآخر نفسي. يتبين لنا في كثير من الأحيان أن ازدواج الشخصية في الإنسان يكون إحساساً لا شعورياً، بمعنى أن الشخص المزدوج له شخصيتين او أكثر.

إن ازدواج الشخصية في مفهومه النفسي هو مرض نادر لا يصاب به الا عدد قليل جداً من الناس، وهو شذوذ في التكوين الشخصية حيث يتقمص المصاب به شخصية معينة تارة، ويتحول عنها الى شخصية ثانية تارة أخرى، ولهذا يصح أن يسمى هذا المرض (تعدد الشخصية) بدلاً من ازدواجية الشخصية.

أما ازدواجية الشخصية في مفهومها الاجتماعي، فإنه ليس مرضاً نفسياً، بل هو ظاهرة اجتماعية يتصف بها الكثيرون من الناس في مجتمع معين، إذ يتعرضون منذ نشأتهم الاجتماعية الى نظامين مختلفين من القيم، فترى الواحد منهم يسلك ويفكر حسب أحد النظامين تارة، وحسب النظام الثاني تارة اخرى[6].

إن الازدواجية تنشأ في مجتمع عند وجود نظامين متناقضين في القيم الاجتماعية فيه، فالفرد الذي ينشأ في مثل هكذا مجتمع يتلقى منذ طفولته نوعين من الإيحاء الاجتماعي، أحدهما يدفعه نحو تقدير أخلاق معينة والآخر يدفعه نحو تقدير أخلاق مناقضة، وهو لذلك قد يتخذ في حياته العملية سلوكين مختلفين، من حيث لا يدري[7].

1 نخبة من المؤلفين، المصدر السابق، ص 28.
2 ابراهيم الحيدري، المصدر السابق.
3 لمحات ج1، المصدر السابق، ص 289.
4 حميد الهاشمي، المصدر السابق
5 الوردي، لمحات، ص 300 – 301.
6 سلام الشماع، الوردي يناقش آراء مفكرين أردنيين، بلا تأريخ، إنترنت.
7 سلام الشماع، من وحي الثمانين، بغداد، مطبقة القبس، 1996، ص 23.

إن النفاق وازدواجية الشخصية صفتان مختلفتان، فالازدواج لا شعوري ولا يدري به صاحبه في أكثر الأحيان، أما النفاق فإن صاحبه يشعر به وهو يتقصد القيام به عمداً، من أجل كسب منفعة شخصية له، وهو يكثر في المجتمع الذي يسوده النظام الاستبدادي وتضعف فيه الديمقراطية[1].

لقد فرض النفاق الاستبدادي السياسي في العراق نفسه بالقوة الطائفية السياسية على رقاب الجمهور، وعمت الفوضى وروح الانتقام داخل نسيج وشرائح المجتمع، حيث تنتشر البطالة ويسود الفقر المدقع والجهل والمرض وانتشار أنواع المشكلات الاجتماعية والنفسية، وهذه الحالة المزرية شملت كل قطاعات المجتمع العراقي، عدا الذين ارتبطوا بالنظام السياسي، ونتيجة لمجمل هذه الحالات القسرية المفروضة على الشعب، فقد تكون نوع من التناشز والازدواجية الشخصية هدفها تجنب ويلات النظام المقهور.

كان أول أهداف النظام البائد هو هدم البناء التقليدي للمجتمع العراقي القائم على فكرة (الصراع بين البداوة والحضارة) (ازدواجية الشخصية العراقية)، الأمر الذي أقلق السياسية العراقية التي كانت تخشى على هويتها (البدوية والإقطاعية والعشائرية)، وازدواج هذه الهوية مع اساليب العصر المتقدمة (الحضارة).

ولقد عمل علي الوردي على تعرية بنية هذه السياسة الازدواجية وبنية المجتمع العراقي[2]، ويقول: لاحظت بعد دراسة طويلة أن العرب مصابون بداء ازدواج الشخصية أكثر من غيرهم من الأمم، ولعل السبب في ذلك ناشئ عن كونهم قد وقعوا أثناء تطورهم الحضاري تحت تأثير عاملين متناقضين: (البداوة والإسلام)[3].

ومن الممكن القول أن الشخصية الحضرية تقوم على (الإنتاج)، بينما تقوم الشخصية البدوية على (الاستحواذ)، وشتان ما بين أخلاق الإنتاج وأخلاق الاستحواذ كما تعلمون[4].

أعتقد الوردي أن هذه الازدواجية متأتية في المجتمع العربي الإسلامي من الصراع بين بقايا الجاهلية ومعطيات الإسلام فالخليفة الأموي مثلا كان بدوياً صريحاً يعمل ما يشاء مادامت القوة بيده وكان يتبع في ذلك سنة الصحراء... وترك أهل التقوى والدين في ابراجهم العاجية، أما الخليفة السياسي فأخذ يتبع طريق الازدواجية فإذا جاء وقت الموعظة بكى، وإذا جاء وقت السياسة طغى، فهو في وقت الموعظة من أشد الناس خشوعاً وتعففاً وزهداً. أما حين يجلس في الديوان ينظر في أمر الخراج وتعيين الولاة وشراء الجواري[5].

إن كل مدينة يكثر فيها رجال الدين ينتشر فيها أيضاً ازدواج الشخصية على درجة كبيرة. ذلك لأن الأنسان في هذه المجتمع مضطر أن يكون دينيا في ناحية في حياته ودنيوياً في ناحية أخرى[6].

عندما قام رجال الدين بتغير مسار الدين إلى خيالات الأيديولوجيات لخدمة السلطات ومئآربهم الشخصية، ويبقى المجتمع حتى تنهشه الأصولية الدينية والسياسية بحذافيرها.

فالأصولية الدينية المتزمنة يبقى في أذهانه كأنه هو المخلص البشري. وهذه الحالة تـؤدي إلى تفتيت الهوية المجتمع ويحطم مكونات الشخصية العراقية السوية، وبالتالي يكون الخاسر الوحيد هو الفرد المغلوب على أمره.

هذا الازدواج في الشخصية هو الذي أوصلنا إلى ما نحن عليه اليوم، فالفرد يجوز له أن يعمل ما يشاء وينهب ما يشاء، ولكي يرضى عنه الله يجب أن يعطي جزءاً مما نهب العباد والزهاد والوعّاظ لينوبوا عنه أمام الله فيستغفرونه له، ومن الممكن القول أنه كلما كان الظلم الاجتماعي أشد كان بناء المساجد وتشجيع الوعظ أكثر، فإذا بنى الظالم الغاصب مسجداً بنى الله في الجنة قصراً فخماً[7].

1 نفس المصدر السابق، ص 25.
2حيدر علي، الهيمنة والمجتمع المدني بين غرامشي وعلي الوردي، جريدة المدى، العدد 72، 13 آذار 2014.
3 الوردي، وعاظ السلاطين، بغداد، 1954، ص 19.
4 د. علي الوردي، الآخلاق الضائعة في الموارد الخلقية، بلا سنة وطبعة، ص 13.
5 د.علي الوردي، مصدر السابق، ص ٣٨ .
6 د.علي الوردي، مصدر السابق، ص ٤٧ .
7 د.علي الوردي، مصدر السابق، ص ٤٥ .

وقد لاحظ الوردي بأن الفرد العراقي هو من أكثر الناس هياماً بالمثل العليا ولكنه في نفس الوقت من أكثر الناس إنحرافاً عنها في واقعه وممارساته الاجتماعية، ومن هنا تصبح (الازدواجية الشخصية) مرضاً اجتماعياً يصيب الأفراد ويسبب صراعاً اجتماعياً في شخصياتهم، والذي يظهر في الهوة العميقة بين التفكير وممارسة العمل في الحياة اليومية[1].

ويورد الوردي أمثلة لهذه الازدواجية الشخصية ومنها:

قد ينادي المتعلم أحياناً بتحرير المرأة وبالدعوة الى مساواتها مع الرجل وهو يكتب في ذلك المقالات ويلقي الخطب، لكنه يغضب كل الغضب عندما يقال عنه أنه ضعيف ويشاور إمرأته في أموره أو أنه كالمرأة لا يرد الصفعة بعشرة أمثالها، والموظف في الدائرة الحكومية يدرك أن المواطنين كلهم في نظر القانون سواء، لكنه لا يستطيع أن يساوي بينهم في داخله، فعند مراجعتهم إياه يضطر الى أن يفضل جيرانه وأبناء حيه وعشيرته على غيره، ويخشى أن يساوي بينهم فيتهمه الناس بأنه رجل (مخنتث) وغير جدير بفخر آباءه، وعندما يهرب مجرم من القانون ويلجا الى دار يختبئ فيه، قد ينسى أهل البيت خطر هذا المجرم على سلامة المجتمع، وأنه صار (دخيلاً) عندهم[2].

إن مجتمعنا الحالي فيه شخصيتان عراقيتان لا شخصية عراقية واحدة، فالأولى هي شخصية آباءنا التي كنا نفاخر بقيمها الأصيلة (الشرف، الإيثار، النخوة، التكافل الاجتماعي، الخوف من العار ومن فعل الحرام). والثانية، يمثلها جيل بعمر الثلاثينات فما دون، ولد ونشأ في زمن حروب وكوارث متنوعة[3].

كان العراقي خلال قرون شتى من أكثر بني البشر تعرضاً للقسوة والذل والإهانة من قبل الطغاة والأنظمة الإستبدادية المستمرة، وهذه الحالة تنعكس لا شعورياً في نفوس وكيانات الفرد، ولا يبقى أمام المواطن العادي سوى الإنحناء الى البطش وتلقي أوامر أسياده خوفاً وطمعاً للحياة، مما يؤدي الى أفراز حالة من تغير الروح عند العراقي فيسلك سلوكاً إنتهازياً وينعدم عنده الولاء لإسرته وشعبه فتتحطم ميكانزم مكونات الشخصية العراقية السويه فيه.

لقد أشار الوردي في كتابه (وعاظ السلاكين) بأن (العراقي) أكثر ازدواجية من غيره من أبناء الأمة العربية الأخرى، ولذلك سببان: السبب الأول هو أن العراق كان ولا يزا يتلقى موجات البداوة قسطاً يفوق ما تتلقى البلدان العربية الأخرى.، فهو سهل منبسط كثير الخيرات. اذا قد وقع المجتمع العراقي تحت تأثير القيم البدوية أكثر من غيره من البلاد الأخرى. أما السبب الثاني فهو أن العراق كان ومنذ صدر الإسلام منبعاً من منابع الفرق الدينية ومهبطاً لكثير من مبادى الإسلام وتعاليمه وأفكاره، وفيه نشأ المناطقة وأرباب العلم والفلسفة[4].

إننا نريد أن نفهم الناس على حقيقتهم، وليس من الصواب أن ننظر في الخطابات والمثاليات التي يتواعظون بها في اجتماعاتهم العامة وفي بعض المجتمعات قد يظهر نظامان متناقضان في القيم، أحدهما مثالي في للتواعظ والآخر واقعي لتحديد السلوك عملياً، وهنا يجب أن نذكر أن النظام المثالي التواعظي لا تأثير له في سلوك الناس الا قليلاً، وأن أكبر التأثير هو لنظام القيم العملي الذي ينشأ عليه الفرد ويعتاده في طفولته في البيت[5].

فالوردي يرى أنه على الرغم من تغير المجتمع فإن طبيعة الإنسان لم تتغير حيث بقى هو ذلك الحيوان المتعصب الذي عرفناه منذ القدم، على الرغم من إتفاق الفلاسفة على أن العقل هو الأهم، مما يميز الإنسان عن الحيوان، لكنهم إختلفوا في تعريف العقل وحدود إدراكه وصلاحياته ولاسيما بعد أن اثبتت الدراسات الحديثة أن العقل البشري متحيز محدود بطبيعته ويعاني صاحبه التعصب والأنانية والعاطفة، وتلك هي ازدواجية المحبة والكراهية التي يعيشها الإنسان فلا يتعامل بها مع غيره من الناس.

1 ابراهيم الحيدري، المصدر السابق.
2 حميد الهاشمي، المصدر السابق.
3 د. قاسم حسين صالح، المصدر السابق، ص 42.
4 د.علي الوردي، المصدر السابق، ص 20.
5 سلام الشماع، العراق كان مركزاً للحضارة العالمية، مقابلة مع د.علي الوردي، جريدة الزمان، بلا عدد ولا تأريخ.

الدكتور عبدالجليل الطاهر: (1917 – 1971)

من رواد علم الاجتماع في العراق، ولد في مدينة القرنة في محافظة البصرة، أسهم بشكل فعال في تدريس علم الاجتماع في كلية الآداب جامعة بغداد، وأحد زملاء الوردي في قسم الاجتماع، وتخرج على يده أجيال من التلامذة الذي افادوا من عقله وتعلموا من المفاهيم والمصطلحات الاجتماعية الجديدة في تحليل وحدات المجتمع العراقي، وكان لكتاباته في الصحف أثر كبير في تغير بعض الدراسات في الجامعة.

وقد ساهم في نشر بذور علم الاجتماع الحديث في القطر ووضعوا اللبنات الأولى لدراسة الظواهر الاجتماعية في الريف والصحراء والمجتمع الحضري.

جاءت كتابات الطاهر عن الشخصية العراقية بعد فترة زمنية طويلة نسبياً من كتابات الوردي (حوالي 18 سنة) وقد شهد العراق فيها تحولات سياسية واجتماعية عديدة، لعل من أهمها ثورة تموز 1958، وانقلاب 1968، وقد حاول الدكتور الطاهر أن يسلك مسلكاً مختلفاً في تحليله للشخصية العراقية يناقض فيه الدكتور الوردي[1].

وسمي الدكتور الطاهر بالباحث النقلي لأنه إهتم بشكل مركز على نقل معارف وثقافة علم الاجتماع النظرية والفكرية دون نقدها أو إعطاء رأي فيها بل استجلابها كما هي[2].

مفاهيم الطاهر الاجتماعية:

ظهرت بعض المفاهيم الاجتماعية في كتابات الدكتور طاهر وهي:

عندما يخلق الأنسان بمحض أرادته صناما في مخيلته. ما معناه أنتشار بعض الأراء والأوهام والأساطير بين الناس بعيدة كل البعد عن المنطق والقوانين الطبيعة، كما يتبين بأن الأنسان متحيز بطبيعة حاله، في هذه الحالة يسيطر الأوهام على عقله وأفعاله، لا يستطيع أن يميزبين ما هو صحيح وما هو خطأ، لذا يلتجأ الى خيالات وأفكار وهمية لأدارة شؤون حياته. ويتغير هذه الحالة مستمدة بمدى عقلية هذا الشخص ومكانته بين الأشخاص الآخرين.

1- **أصنام المجتمع:**

هنا يقصد الأصنام شيوع بعض الأوهام والأساطير والأفكار المغلوطة التي لا يخضع للبحث العلمي والمنطق، يتعصب لها الانسان ويتحيز لها فتؤثر في كل وجوه حياته الفكرية، تقيد عقله وتحدده فتقرر علائقة وصلاته مع الناس الأخرين كماً وكيفاً تعمل على تقويتها واستمرارها حينا وعلى تقليصها وقطعها وبترها حيناً آخر[3].

يبرز ظهور الأصنام في نوعين من المجتمع:

أ. المجتمع البسيط التركيب حيث يسود بين الأفراد شعور بالتجانس والتضامن وتكون الروابط الدموية هي أساس كل تقسيم اجتماعي ويوجد فيه قليل من تقسيم العمل حيث تكون أنماط الحياة رتيبة تستمد نظامها من قوى ما وراء الطبيعة تسود فيه نزعة مثالية وتكون الخرافات والأوهام المرجع الوحيد للأنتاج الفكري.

ب. المجتمع الدكتاتوري – الأرستقراطي – الأقطاعي عندما لا يكون للفرد شأن يذكر أبتلعته السلطة فأضطر على عبادة وتقديس أنواع معينة من الأصنام بدون مناقشة وجدال[4].

يوجد لكل فترة تأريخية وكل وضعية اجتماعية صنم أو مجموعة من الأصنام تمارس أنواع السيطرة الاجتماعية التي تؤثر في توحيد الأوهام والأفكار وإهاجتها وتجريد بعض المفاهيم من معانيها الحقيقية وصب معاني الجديدة لا تمت لها بصلة[5].

1 موفق ويسى محمود، نقلاً عن معن عمر خليل، المجتمع العراقي في دراسات الطاهر، بحث غير منشور، قسم الاجتماع، 1988، ص 1.
2 د. معن خليل عمر، رواد علم الاجتماع في العراق، ط1، بغداد، 1990، ص10.
3 د، عبدالجليل الطاهر، أصنام المجتمع، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٦، ص٦ .
4 د، عبدالجليل الطاهر، نفس المصدر، ص ٨ .
5 د، عبدالجليل الطاهر، نفس المصدر، ص ١١ .

المجتمع الدكتاتوري يعني فرض العقاب على الشخص الذي يتحدى السلطة ويتحدى القيم العرفية للمجتمع، والوقوف ضد الأفكار الشخصية والتصورية، والاعتقاد بالعوامل الغامضة والمتحيرة التي تقر مصير الفرد والميل للتفكير بطريقة متصلبة وضيقة، وتفكير الفرد بطريقة متطرفة تدفعه الى تقسيم الأشخاص الى قسمين حاكم ومحكوم[1].

2- **الفينومولوجية:**

أي البحث عن مضامين الفكر ومحتوياته المستقلة والمنعزلة عن كل وجود اجتماعي[2] نظرية مثالية ذاتية، وهي ظواهر الوعي وعلاقتها بالعالم، وعي سام خالص معزول عن الأنسان لا باعتباره كائناً اجتماعياً فحسب بل وحتى باعتباره كائنا طبيعياً مفكراً، رعلم مؤسسي على تحليل معطيات الوعي الخالص المباشرة والحدس العقلي يتم عن طريقة معرفة جوهر الأشياء المثالية[3].

3- **القوقعة:**

عندما كان الشخص يصاب بنوع من استمرار الولاءات العميائية المتكلسة المتحجرة التي بقيت عالقة في وجدانات الفرد في جوهر شخصيته، ليس في إمكانها أن يخرج من هذه القوقعة المغلقة بحياتها وقدرة على التغير، وينعكس على سلوكيتها ونشاطها وتطلعاتها، وتمارس أنواع الضغوط الشعورية واللاشعورية عليها. والقواقع كثيرة منها (قبيلة، طبقة، عنصر، طائفة، مدينة، محلة، حزب، أسرة)[4].

4- **الشخصية القوقعية** (الشخصية الأنطوائية – Introvert Personality):

وهي الشخصية التي يميل صاحبها الى تماشي الأتصال الاجتماعي، ولديه رغبة عالية للأنعزال والوحدة مع وجود استمرار حالة من التأمل والخيال أكثر من الواقع الحقيقي. ومن أبرز سمات هذه الشخصية ما يأتي:

1) عدم القدرة على إيجاد العلاقات الناجحة مع من حولها.
2) مشاركتها ضعيفة في المناسبات الاجتماعية.
3) صداقتها الحقيقية لذاتها وأهتماماتها فردية (التمركز حول الذات).
4) عدم القدرة على الانسجام والاقتراب والانتماء مع مجاميع أنسانية.
5) تحب الاحترام والتقدير لذاتها، مع أنها لا تمنح الأخرين حقوقهم.[5]

الشخصية المنطوية:

يؤثر العزل والإعتكاف ويجد صعوبة في الاختلاط بالناس فيقصر معارفه على عدد قليل منهم ويتحاشى الصلات الاجتماعية ويقابل الغرباء بحذر وتحفظ، وهو خجول شديد الحساسية لملاحظات الناس، يجرح شعوره بسهولة، وهو كثير الشك في نيات الناس ودوافعهم، شديد القلق على ما قد يأتي به الغد من أحداث ومصائب يطير صوابه في ساعات الحرج والشدة، يهتم بالتفاصيل ويضخم الصغائر، متقبل المزاج دون سبب ظاهر، يستسلم لإحلام اليقظة ويكلم نفسه، كثير الندم والتحسر على ما فاته، يسرف في ملاحظة صحته ومرضه ومظهره الخارجي، لا يعبر عن عواطفه بصراحة، وهو الى جانب هذا دائم التأمل في نفسه وتحليلها، يهتم بأفكاره ومشاعره أكثر من إهتمامه بالعالم الخارجي، يفكر طويلاً قبل أن يبدأ عمله، فإن إنهار أو أصيب بمرض نفسي كان نصيبه العصاب الوسواسي[6].

قام عبد الجليل الطاهر بدراسة نفسية واجتماعية لظاهرة (القلق الاجتماعي في العراق) وقد حاول فيها الكشف عن طبيعة شخصية الفرد العراقي والتعرف عليها، وأراد أن يضع الخطوط العامة للشخصية بالرغم من تنوع وتباين آراء وأفكار العلماء والباحثين،

1 دينكن ميشل، معجم علم الاجتماع، ت: د. أحسان محمد المحسن، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠، ص٣٥ .
2 عبدالجليل الطاهر، علم الاجتماع بين الفينومينولوجية والتجريب، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦١، ص 46 .
3 . عبدالرزاق مسلم الماجدي، مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع، المكتبة العصرية، بيروت، بلا سنة، ص ٧٧ .
4 د. عبدالجليل الطاهر، المصدر السابق.
5 د.لمياء ياسين الركابي، د. حيدر كريم سكر العتابي، د. عبدالأمير ناصر غلوب الركابي، في الشخصية، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، ٢٠١٠، بغداد، ص ١٠٥ - ١٠٧.
6 د. أحمد عزت راجع، اصول علم النفس، مكتب العصر الحديث، بلا سنة، ص 473.

كلّ حسب أهواءه ومنطلقاتهم الفكرية، فعلى سبيل المثال يصف بعض منهم بأنها شخصية مريضة (باثولوجية) مصابة بإنشطار الوجدان، بينما يقول البعض بأنها خليط عجيب من النماذج النفسية والاجتماعية التي لم تستطع أن تتخلص من الصراعات المستمرة بين تلك النماذج، ويقول البعض الآخر بأنها ينبوع دائم في الإبداع والإجتهاد، وهي ترغب في التغيير في حياتها كهدف بحد ذاته.

يقول الطاهر: وبالرغم من كل ما قطعه المجتمع من أشواط في مضمار التقدم الا أن المعضلة التي تنتظر الحل العاجل تتطلب تظافر الجهود، " استمرار ولاءات القوقعية المتكلسة المتحجرة" التي بقيت عالقة في وجدانات الأفراد – في أعماق الشخصية العراقية– تسيطر على سلوكياتها ونشاطاتها وتطلعاتها، وتمارس أنواع الضغوط الشعورية واللاشعورية عليها[1].

تأريخياً شهد العراق ولادة الولاءات القبلية والقومية التي لم تفلح في إزاحة الولاءات القديمة رغم نموها على حسابها وتعايشها معها جنبا إلى جنب. وقد استمدت منها القوة والملامح النفسية وعبرت عن نفسها ضمن أطار النماذج العاطفية والمفاهيمية للإسلام، وتشبعت الحركات القومية الوليدة ومن بعدها الميثولوجيا القومية بالشأن العشائري الذي كان يتحرك بالأهواء والمصالح المحلية[2].

ويمكن أن يكون للعنف في حالته الأكثر إنفلاتاً، وهي الحالة الأسيد، مركزية الفرد العراقي (والعربي عموماً) حيث الإنغلاق على (الذات، العائلة، المحلة، الطائفة، القومية، وأي وحدة اجتماعية أو سياسية) تتطلب الانتماء (الولاء) ترتهن بمعاملة نزوع تسلطي، يشكل بيئة صالحة لتفريغ السلوك الفاشي[3].

الشخصية العراقية في رأي الطاهر

لقد وصف الطاهر الشخصية العراقية بأنها (متقوقعة وقلقة في آن واحد) وقد وضع ثلاثة مظاهر لها وهي:

1-الانتماء القوقعي المتحجر الى الإسرة أو المحلة أو القبيلة أو الطبقة أو الطائفة وغيرها من الانتماءات الجزئية المقطعية تجر وجدان العراقي جراً غير متناسق الى بؤر ولائية مليئة بالمياه الآسنة في الآحقاد، تختلف في عفونتها وعمقها، وتؤدي الى تصدّع البناء النفسي للشخصية والبناء الاجتماعي للمجتمع[4].

وكما يتبين لنا فإن صور التعصب تظهر في المجالات الآتية:

أ- التعصب الاجتماعي.

ب-التعصب السلطوي.

ت-التعصب المؤسسي

ومن خلال قراءة الطاهر يتبين لنا أنه يريد أن يحذو حذو الوردي في فكرة التعصب، بل وبشكل أكثر قسوة وصرامة في تعابيره وإظهار آراءه المتعلقة بالتعصب، (تنتمي الولاءات القبلية والعشائرية الجديدة المتجددة الحرة في العراق الى هذا المجتمع الأهلي القرابي (القرابية الدمية، السلالية، المذهبية، العقائدية..) الذي لاينتج الا التشرذم، وأنصاره يحملون العقل الإيماني المفرمل الكابح للثقافة العقلانية والقائم على الولاء الفئوي، والتزمت والدوغماتية والإنتهازية والوصولية والفساد.... وهذه الولاءات هي جزء من الانتماءات الضيقة التي إزدادت ضيقاً بسبب فقدان الأمان والحياة القاسية والخوف من الغد والمستقبل[5].

2- إن لشخصية الفرد العراقي مظهراً تأريخياً وحضارياً يرمز ويعبر عن نموذج المجتمع في مرحلة تأريخية وحضارية معينة، أي أن مركز الثقل في الشخصية تختلف في إهتماماتها من مرحلة الى أخرى[6].

3- إن لشخصية الفرد العراقي مستويات وإطارات مختلفة من العلاقات[7].

1 عبدالجليل الطاهر، القوقعية والقلق في الشخصية العراقية، مجلة المثقف العربي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، العدد 11، 1969، ص 35.
2 سلام ابراهيم عطوف كبة، المجتمع المدني والمؤسسة العشائرية، ص ٣٨ .
3 هادي العلوي، المصدر السابق، ص 7-8.
4 د. عبد الجليل الطاهر، القوقعية والقلق في الشخصية العراقية، المصدر السابق، ص 36.
5 سلام ابراهيم عطوف كبة، مصدر السابق، ص ٣٨ .
6 د.عبد الجليل الطاهر، المصدر السابق، ص 36.
7 عبدالجليل الطاهر، المصدر السابق، ص 36.

فأن الشخصية العراقية في العقود الخمسة الأخيرة، لم يتغير كثيرا، بل على العكس، أرادت تزمتاً، وحنقا، وكبتا، وقمعا وبالتالي تمردا، منظورا وغير منظور بحكم الحروب والمخاصمات والقتال والحصار والجور والجوع والفقر تعرض له الأنسان العراقي، لكنها في نفس الوقت أزدادت رغبة وآملا، وتطورت عقلا ومفاهيم، وكظمت غبط السنين والعقود والقرون، لتطلق التفاول في الانتقال الى مرحلة جديدة، دون أن تغفل أو تغطي على عثرات الزمان أو مسميات الماضي، فهي تقبل بها لأنها جزء من التأريخ[1].

يمكن القول بأن الشخصية العراقية تواجه اليوم أنواعاً جديدة من التناقضات الطبقية بين الرجعية والتقدمية، والاستعمار والقومية المتحررة، والأنظمة الإستغلالية والأنظمة الإشتراكية، والريف والمدينة، وغيرها[2].

فازدواج الشخصية مرض اجتماعي وأخلاقي يعبر عن اللا تناسق واللا تناسب في تطور المجتمع، ولقد عانى مجتمعنا في ظل خيمة الاستعمار من اللاتناسب في التطور في كافة المجالات، ولا ينفرد مجتمعنا في هذا الخلل الذي ورثه من أيام السيطرة الاستعمارية، بل عانت منه جميع الشعوب التي رزخت تحت نير الاستعمار[3].

إن القلق الذي نتحدث عنه في الشخصية العراقية ليس قلقاً فردياً، ولا يمكن إرجاع أصوله الى التكوين النفسي للفرد العراقي فقط، فنعتبر القلق عرضاً من أعراض الشخصية المريضة المصابة بإنشطار الوجدان، ينمو القلق في مرحلة تأريخية قلقة: يكون الصراع بين القواقع على أشده، فتندفع القواقع للقيام بنشاطات جماعية لتغير الأوضاع القائمة[4].

لقد أوضح الطاهر بأن (قلق) الشخصية العراقية ناتج من التناقضات المستمرة القائمة بين الأدوار المتعددة التي تقوم فيها في البيت والمزرعة والمصنع والمدرسة والنادي والنقابة والمقهى والوظيفة ومجالس الأنس والمسامرة وغيرها[5].

يشعر الفرد في العراق والذي ينتمي الى قوقعة (أسرة، محلة، مدينة، طائفة، عنصر، طبقة وغيرها) بالطمأنينة وبالولاء العميق داخل إطار تلك القوقعة، بينما يتبادل العلاقات السطحية المؤقتة الطارئة خارج ذلك الإطار[6].

تعزل (القواقع) أبناء المجتمع الواحد عزلاً افقياً ورأسياً، لإنها بذرات في وجداناتهم بذوراً في التحيزات والتعصبات التي هشمت المجتمع الى أجزاء متهاونة قشرياً وسطحياً ومتناقضة في الأعماق، وكثيراً ما يحدث أن يقفز الفرد من مستوى قوقعي الى مستوى آخر، حتى صار من الصعب حقاً معرفة نقاط الإنتهاء ونقاط التشابك ونقاط الإنطلاق[7].

إن البيئات المحتملة بالضغوط والأحداث الصارمة والتباين الحاد بين الغني والفقير تولد قلقاً مزمناً وشاملاً يتطور الى اضطرابات قلق وفصام، فإننا نتوقع أن تكون الإصابات بالاضطرابات العقلية في مجتمعاتنا العربية أعلى من أي نسبة في العالم، إن السلطة في مجتمعاتنا مصابة بـ (البارانويا)، وأعني أنها تضع نفسها دائماً موضع الشك والاتهام[8].

يستميل الواقع الموضوعي القلق العراقيين من كل دروب الحياة، بغض النظر عن إصولهم الاجتماعية ومراكزهم وطبقاتهم لأنهم قلقون، متبرمون ويريدون تغيير ذلك الواقع، كان من حصيلة ذلك الواقع الموضوعي القلق أن تعايشت في وجدان الشخصية العراقية بمستويات مختلفة في حرمان وتذمر وقلق تؤثر في توجيه السلوك واتخاذ المواقف[9].

إن الإحباط والخيبة والحرمان – هي من الأسباب المباشرة لظهور معالم (الشخصية المتسلطية) وظهور معالم (الشخصية العدوانية) لدى الفرد الا أنه وبسبب تناقض الدوافع السلوكية في داخله[10].

1 د. الحارث عبدالحميد حسن الأسدي، ص١٤ .
2 المصدر السابق، ص 37.
3 سليم، علي الوردي – علم الاجتماع بين الموضوعية والوضعية، بغداد، 1978، ص 50.
4 د.عبد الجليل الطاهر، المصدر السابق، ص 38.
5 د.عبد الجليل الطاهر، الإزدواجية .. هل تصلح اطاراً فكرياً لدراسة الشخصية العراقية، جريدة التآخي، 1971/1/26 .
6 د. عبد الجليل الطاهر، المصدر السابق، ص 38.
7 د. عبد الجليل الطاهر، المصدر السابق، ص 38-39.
8 قاسم حسين صالح، المصدر السابق، ص 72.
9 د. عبد الجليل الطاهر، المصدر السابق، ص 39.
10 باقر ياسين، شخصية الفرد العراقي، دار اراس للطباعة والنشر، أربيل، ص 34.

أعراض القلق والنزاع القوقعي:

من الممكن أن نذكر بعض الأعراض العامة التي نجمت عن القلق والنزاع القوقعي بكل اختصار ومنها:

أ- الثورات والانقلابات والحروب الداخلية والمنازعات القبلية والطائفية والعنصرية.

ب- المظاهرات والاعتصامات والمسيرات.

جـ- اعلان الاحكام العرفية وحل البرلمانات وتعطيل الصحف.

د- الاعتقالات والنفي والطرد والفصل والعزل.

هـ-اغلاق المدارس والمعاهد والجامعات.

و- سقوط الوزارات وعزل الولاة واسقاط الجنسية.

ي- التخلف[1].

إن من أهم الخصائص التي تتميز بها الشخصية العراقية هو:

ويضع الطاهر الخصائص التي يعتقد أن الشخصية العراقية تتميز بها وهي:

1-انها شخصية حية: لأنها حصيلة صراع مستمر لكل تلك القواقع المتعارضة المتناقضة، التي لم تستطع توحيدها وصهرها وتأليف كلّ منسجم منها فتعايشت في وجدانها قيم مختلفة تتهاون أحياناً وتنتزع أحياناً كثيرة، فهي ليست مصابة بانشطار الوجدان كما يتصور البعض، وإنما تقوم بأدوار متعددة ومتناقضة.

2-تنتقل من قوقعة الى اخرى بقفزة واحدة، فتغير مواقعها أزاء القضايا الخاصة والعامة.

3-تمجيد الذات وتعظيمها بالرجوع الى التأريخ – فالحاضر الذي يعيشه مصدر الأمة وشقاءه والماضي ينبوع لأمجاده ومفاخره.

4-يعتز العراقي بكرامته وشخصيته ويبالغ أحياناً في تكبير وتوسيع أبعادها – وترجع هذه الصفات الى أصول تأريخية.

5-الاندفاعات المفاجئة: تندفع الشخصية العراقية اندفاعاً مفاجئاً وتنفجر انفجاراً غير متوقع، ولقد اضطرت القواقع المتعددة أن يكون العراقي في حالة استنفار والتربص دائمة.

6-العقدة ضد السلطة: ترجع جذور هذه السلطة الى العهود الغابرة حين كان الحكام غرباء أجانب وظلاّماً مستبدين، فانقطعت كل صلة بين الشعب وحكامه، واستمرت رواسب هذه العقدة تحرك في الشخصية العراقية.

7-السلبية عن طريق التأكيد على الفردية: تتهم رواسب العقد النفسية المذكورة كل محاولة للمرونة والإيجابية والانفتاح القوقعي بالمبايعات في المزاد السياسي، تؤكد الفردية والسلبية الفروق والاختلافات وعدم الثقة بالآخرين وقلة التعاون وكراهية الأنظمة.

8-المبالغة والتطرف: ونتيجة لفترات الحرمان الطويل تنطلق الشخصية متطرفة في التعبير عن أحاسيسها ومشاعرها سواء كانت أحاسيس المحبة أو مشاعر الكراهية.

9-الاستمرار في محاولة الحفاظ على الحدود النفسية والاجتماعية التي تفصل القواقع بعضها عن بعض باللجوء الى مصطلحات قشرية وسطحية في المجاملات.

10- عقدة البطل الشعبي: يمكن في أعناق الشخصية العراقية حب حقيقي وتقدير منقطع النظير للبطل الشعبي الذي تؤلف سيرته نواةً صلبة في فضائل التراث الاجتماعي.

11- العنف: تتميز السلوكية القوقعية القلقة بالعنف في معاملة الخصوم، ولعل السبب في ذلك تراكم المظالم وترجع جذور هذه الظاهرة الى الماضي السحيق..

12- سلوكية مزدوجة بين العمل المكشوف والعمل السري: إذا كانت القواقع تخشى بعضها البعض الآخر وترهب من (الأفعال) و(ردود الأفعال) فأنها تعمل على مستويين: الأول خفي سري والثاني علني مكشوف[2].

1 د. عبد الجليل الطاهر، المصدر السابق، ص 41.

2 د. عبد الجليل الطاهر، المصدر السابق، ص 43.

أسباب القلق في الشخصية العراقية

يرجع الطاهر تواجد القلق في الشخصية العراقية الى الأسباب التالية:

1- صراع انتماءات العراقي المتعددة كالأسرة والمحلية والقبلية والطبقية والطائفية حيث يشعر الفرد في العراق الذي ينتمي الى هذه الولاءات القوقعية بالطمأنينة وبالولاء العميق داخل إطار تلك القوقعة بينما يتبادل العلاقات السطحية المؤقتة الطارئة خارج ذلك الإطار[1].

فإن العراقيين سيظلون موزعين على ولاءات الجماعات التي تحميهم.. وإن كرهوا ولن يحيا الشعور بالولاء للعراق، الذي يأنّ في أعماقهم أنين الحبيبة العليلة، الا بعد أن يعاد نصب خيمة الدولة على أعمدة: القانون، والأمان، والعدالة في توزيع الثروة بين الناس[2].

2- نقل الولاءات القوقعية القديمة الى الحركات السياسية والاجتماعية والثقافية، لقد أظهر تأيخ الحركات السياسية والاجتماعية والثقافية صحة هذه الفرضية لأن العراقيين يتوزعون في انتماءاتهم توزيعاً يتأثر بالرواسب القوقعية العالقة في وجداناتهم بل أنهم نقلوا الولاءات القوقعية القديمة الى الحركات وتوزعوا بينها بمقدار ما تتصل تلك الحركات ببناء القواقع الولائية القديمة[3].

سبب ضعف ارتباط الحركات السياسية بالحياة اليومية للجماهير وافتقار الجماهير من جانبها للشعور بأهمية ارتباط كهذا، إن وجود صلة من هذا الطراز متحققة في مجرى العمل السياسي يؤشر تلك الحيوية المتقابلة في المجتمع والمنعكسة عن تحسس متكامل بالانتماء بين القيادة والجماهير، مما يعبر بدوره عن تأصل الحركات وفرص نجاح أكبر لها[4].

3- عدم ثبات سلّم الولاءات في وجدان الشخصية العراقية:

يؤلف العراقي في وجدانه تأليفاً متناقضاً ومتحركاً سلّماً من الولاءات تتغير على درجات السلم في حركة دائبة من الصعود والهبوط، فهو مرة يضع الأسرة أو القبيلة أو المحلة أو المدينة ومرة أخرى يضع الطائفة أو الطبقة كل اعتبار ويرتبط بكل ولاء دور معين يقوم به الفرد العراقي، فتتحد خطوط حياة الفرد العراقي اليومية بحدود تلك القواقع الولائية يولد ويترعرع فيها ويكبر وفي إطارها يتزوج ويربي أطفاله وفيها يموت ويحفر قبره[5].

إن الشعب العراقي الذي تسود فيه المستويات المتردية من انماط السلوك الاجتماعي وتتحكم بتصرفاته القيم المختلفة والهمجية والبدائية يمكن أن يتحول الى عامل مساعد وإيجابي ومشجع على نشوء وقيام الأنظمة الدكتاتورية والدموية بكل تأكيد[6].

4- الإنعزال الاجتماعي:

تعزل القواقع أبناء المجتمع الواحد عزلاً افقياً ورأسياً لأنها بذرت في وجدانها فيهم بذوراً من التحيزات والتعصبات التي هشمت المجتمع الى أجزاء متهاوية قشرياً وسطحياً، ومتناقضة في الأعماق، وكثيراً ما يحدث أن يقفز الفرد من مستوى قوقعي الى مستوي آخر حتى صار من الصعب حقاً معرفة نقاط الانتماء والتشابك ونقاط الانطلاق، وكان حصيلة ذلك الواقع الموضوعي لقلق أن تعايشت في وجدان الشخصية العراقية مستويات مختلفة من الحرمان والتذمر والقلق تؤثر في توجيه السوك واتخاذ المواقف[7].

الاستنتاجات:

في ضوء النتائج التي توصل اليها البحث، يمكن استنتاج ما يأتي:

إن الشخصية العراقية:

1- تميل الى الشك والريبة من الغرباء كثيراً.

2- مثل نار الحلفاء، تلتهب مع المثال وتخمد مع الواقع.

1 د. عبد الجليل الطاهر، المصدر السابق، ص 38.
2 قاسم حسين صالح، المجتمع العراقي تحليل سيكوسوسيولوجي لما حدث ويحدث، دار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بغداد، 2008، ص 145.
3 د. عبد الجليل الطاهر، المصدر السابق، ص 38.
4 هادي العلوي، المصدر السابق، ص 78.
5 عبدالجليل الطاهر، المصدر السابق، ص 38.
6 باقر ياسين، المصدر السابق، ص 48.
7 عبدالجليل الطاهر، المصدر السابق، ص 39.

3- لها مظهران أساسيان، وهما القوقعية والقلق.

4- لديها الانتماء القوقعي المتحجر الى الأسرة أو المحلة أو القبيلة أو الطبقة أو الطائفة.

وأن الفرد العراقي:

1- رومانطيقي وغير واقعي ولا ينسجم مع تطورات المجتمع المدني.

2- له حساسية مفرطة، ويكره المهن الدنيئة التي لا تنسجم مع واقعه الحياتي.

3- يميل الى السيطرة والمنافسة والخناق دون مبرر.

4- متوتر وقلق ويشعر بالخجل في كثير من الأحيان.

5- متقمص لشخصيتين أو ذاتين مختلفتين.

6- ذاتاً يفكر بها وذاتاً أخرى يعمل بها.

7- يحمل أفكاراً مثالية، فهو يفكر بمبادئ لا يستطيع تطبيقها، ويدعو الى أهداف لا يقدر على الوصول اليها.

8- دينياً من ناحية ودنيوياً من ناحية أخرى.

9- أشد الناس غضباً على من يفطر علناً وهو أكثرهم إفطاراً " وهذه النقطة تخص العراقي المسلم".

10- عاطفي جداً، فهو يبكي في أغانيه ويشتم في حديثه.

11- يولد قلقاً ويعيش قلقاً ويموت قلقاً.

12- بدوي في عقله الباطن، مسلم في عقله الظاهر.

13- كل مدينة يكثر فيها رجال الدين، تكثر فيها الازدواجية الشخصية بدرجة كبيرة.

المقترحات:

1- إجراء دراسات لكشف كوامن الشخصية العراقية في كل النواحي.

2- إجراء دراسة مماثلة على الشخصية العراقية باستخدام اساليب عديدة قياسية أخرى منبثقة من البيئة العراقية.

3- إجراء دراسات متشابهة لمقارنة الشخصية العراقية مع الشخصيات الدول المجاورة والعالمية لمعرفة مدى التشابه والاختلاف بينهم.

4- إجراء دراسات علمية أخرى للكشف عن حقائق من كلا الجانبين أي الإيجابية والسلبية في تكوين الشخصية العراقية.

5- ضرورة الاهتمام بالمواضيع المتعلقة بالشخصية العراقية لكي يفهمها جميع الأفراد، وتبقى كشخصية متطابقة مع الواقع الحياة.

التوصيات:

وفي ضوء الاستنتاجات السابقة، يوصي الباحث بما يأتي:

1-بما أن الشخصية هي ليست مفهوماً بايولوجياً أو اجتماعياً ملموساً، بل هي حصيلة تفاعل كل ما يقوم به الإنسان.

2-إعداد برنامج وطني مركزي شامل لإعادة تأهيل وتنظيم الشخصية العراقية على مدى فترة زمنية طويلة.

3-إعادة النهوض بكل ما يتعلق بالتربية والتعليم وتنقية المواد الدراسية من كل الشوائب والأوهام وأساطير الخرافة.

4-استخدام سلطة القانون وتطبيقها على المواطنين بدون استثناءات.

5-توجيه عملية التعليم الى ثقافة السلم والانفتاح والديمقراطية وحقوق الإنسان.

6-نبذ كل الإشكاليات الدينية والتطرف والمذاهب والطائفية والعنصرية.

7-الاهتمام بحملات وبرامج إعلامية واسعة لتنير درب الحرية لكل فرد يعيش في البلد.

8-الابتعاد عن ثلاث صفات سلبية ورئيسة موجودة في المجتمع العراقي وهي (التناقض، التسلط الدكتاتوري، الدموية).

9-تطبيق قانون التعليم الإلزامي، كونه الوسيلة المؤثرة والفعالة في تكوين الشخصية السوية.

المصادر:

1. الوردي، شخصية الفرد العراقي، ١٩٥١.
2. د. الوردي، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث، ج١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٩.
3. الوردي، وعاظ السلاطين، بغداد، 1954.
4. د. علي الوردي، الأخلاق الضائعة في الموارد الخلقية، بلا سنة وطبعة.
5. سلام الشماع، من وحي الثمانين، بغداد، مطبعة القبس، 1996.
6. د. معين خليل عمر، رواد علم الاجتماع في العراق، ط1، وزارة الثقافة الإعلام، بغداد، 1990.
7. د. علي حسين الجابري، علي الوردي سيرته، فلسفته، مصادره، دار نينوى، دمشق، 2009.
8. د. إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع، دراسة نظامية في تأريخ نظريات ومناهج مجال علم الاجتماع الصرف، مطبعة جامعة بغداد، 1996.
9. د. محمد فرغلي فراج، د. عبدالستار ابراهيم، د. سلوى عبدالرحمن الملا، السلوك الإنساني – نظرة علمية، دار الكتب الجامعية، بلا سنة.
10. د. عبدالرحمن محمد عيسوي، دراسات في علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1974.
11. د. عاطف وصفي، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1981.
12. د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الشخصية دراسة في علم الاجتماع النفسي، الإسكندرية، ٢٠٠٦.
13. صابر بكر مصطفى بوكاني، سمات الشخصية للأستاذ الجامعي، رسالة ماجستير جامعة بغداد، ٢٠٠١.
14. د. أنتصار يونس، السلوك الأنساني، دار المعارف، ١٩٧٨.
15. د. صائب عبد الحميد، د. فيصل غازي مجهول، د. على عبدالهادي المرهج، علي الوردي قراءة نقدية في آرائه المنهجية، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨.
16. د. حسن حنفى، التفكير الديني وازدواجية الشخصية، مجلة الفكر المعاصر، أبريل ١٩٦٩.
17. موفق ويسي محمود، سمات الشخصية العراقية في كتابات الاجتماعيين العراقين، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٨٩.
18. د. معن خليل عمر، ثنائيات علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، ٢٠٠١.
19. سعد البزاز، د.علي الوردي في الطبيعة البشرية، ط2، عمان، 2012.
20. د.قاسم حسين صالح، سايكولوجية عراقية، ط1، مطبعة جامعة صلاح الدين، 2006، أربيل.
21. د. عبدالجليل الطاهر، أصنام المجتمع، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٦.
22. د. عبدالرزاق مسلم الماجدي، مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع، المكتبة العصرية، بيروت، بلا سنة.
23. د.لمياء ياسين الركابي، د. حيدر كريم سكر العتابي، د. عبدالأمير ناصر غلوب الركابي، في الشخصية، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، ٢٠١٠، بغداد.
24. د. أحمد عزت راجع، اصول علم النفس، مكتب العصر الحديث، بلا سنة.
25. هادي العلوي، مظاهر التشوه في المجتمع العراقي، مجلة دراسات كردية عن المعهد الكردي، باريس، عدد 3–7، 1992.
26. عبدالجليل الطاهر، القوقعية والقلق في الشخصية العراقية، مجلة المثقف العربي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، العدد 11، 1969.
27. عبدالجليل الطاهر، الازدواجية...هل تصلح أطارا فكريا لدراسة الشخصية العراقية، جريدة التأخي، ١٩٧١/١/٢٦.
28. عبدالجليل الطاهر، جمود الازدواجية وعمقها في تحليل الشخصية العراقية، جريدة التأخي، ١٩٧١/٢/٥.
29. عبدالجليل الطاهر، الازدواجية والشخصية العراقية، جريدة التأخي، العدد ٦٥٥، ١٩٧١/٢/٢.

30. سليم علي الوردي، علم الاجتماع بين الموضوعية والوضعية، بغداد، ١٩٧٨.
31. باقر ياسين، شخصية الفرد العراقي، دار أراس للطباعة والنشر، أربيل ٢٠١٠.
32. قاسم حسين صالح، المجتمع العراقي تحليل سيكوسوسيولوجي لما حدث ويحدث، دار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بغداد، 2008.
33. جريدة الأتحاد، علي الوردي، حول العقل البشري، العدد ١١٤، ١٣ آذار ١٩٨٩.
34. حميد المطبعي، مفكر عرف السؤال بالقوة والإستفسار بالضعف، جريدة الزمان، عدد 1671، 2003/11/29.
35. حيدر علي، الهيمنة والمجتمع المدني بين غرامشي وعلي الوردي، جريدة المدى، العدد 72، 13 آذار 2004.
36. عبد الجليل الطاهر، علم الاجتماع بين الفينومينولوجية والتجريب، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦١.
37. دينكن ميشل، معجم علم الاجتماع، ت: د. احسان محمد المحسن، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠.

الإنترنت:

1. علي الوردي، عالم الاجتماع الذي شخص كوامن الشخصية العراقية، الحوار المتمدن، العدد 42، 2002/9/10.
2. سليم مطر، النزعة الإستشراقية العنصرية في فكر الحداثة، جنيف، 1999. http://www.salimmtar.com/pages/08.html
3. د.ابراهيم الحيديري، علي الوردي ودلية الثقافة والديمقراطية، 2006/7/31.
4. د.الحارث عبدالحميد حسن الأسدي، الشخصية العراقية، ص http://almarefah.com/article.php?id=226
5. ابراهيم الحيدري، علي الوردي – شاهد آخر على العصر، جريدة الزمان، العدد 1559، 17 تموز 2003.
6. حميد الهاشمي، عالم الاجتماع، تناول مواضيع الازدواجية في الشخصية العربية، جريدة الزمان، عدد 1566، في 2003/7/26.
7. سلام الشماع، الوردي يناقش آراء مفكرين أردنيين، بلا تأريخ.